
خطوات
على درب الفلاح
إعداد
خالد أبو صالح
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خـــاتم الأنبيـــاء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فالناس صنفان: مفلحون وخاسرون، وليس من بني البشر من يحب أو يتمنى أن يكون من الخاسرين، وإنما البشر جميعًا مطبقـــون على محبة الفلاح والنجاح والفوز وتحصيل الخيرات، ولكن هنـــاك فارق بين الدعوى والحقيقة، وبين الأمـــاني والعمـــل، وإن قومًـــا يقولون: نحسن الظن بربنا وقد كذبوًا لو أحسنوا الظن لأحســـنوا العمل.

والدعاوي ما لم يقيموا عليها بينات أصـــحابها أدعيـــاء

فمن أراد أن يكون من أهل الفلاح فليلزم طريـــق الفـــلاح، وليتصف بصفات أهل الفلاح، وليتعاطى أعمال أهـــل الفـــلاح، ويتخلق بأخلاقهم ويتمسك بعراهم حتى يدركه الموت وهو علـــى ذلك.

وقد بين الله تعالى أصناف المفلحين وصفاقم في كتابه، وجلى أمرهم، وكشف عن سلوكهم وأخلاقهم وأعمالهم.

فمن الآيات التي ذكرت أصناف المفلحين وأحوالهم قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّـــذِينَ

هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

فمن صفات المفلحين التي وردت في هذه الآيات:

١- الإيمان بالله تعالى

والإيمان بالله تعالى هو الإقرار بوحدانيته وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، ويستلزم الإيمان بالله تعالى: الإيمان بالملائكة والكتاب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٢-٥].

ثمرات الإيمان

وللإيمان بالله تعالى ثمرات كثيرة منها:

١- تعظيم الله تعالى.

٢- الإقبال على الطاعة والبعد عن المعصية.

٣- ثبات القلب مع الخلق، وعدم الخوف إلا من الله.

٤- التعلق بالله تعالى.

٥- محبة الله تعالى.

٦- محبة عباد الله الصالحين.

٧- بغض كل ما يبغض الله تعالى.

٨- الحرص على اتباع السنة.

٩- كثرة ذكر الله تعالى وشكره ودعائه وعبادته.

١٠- الدخول في حفظ الله تعالى.

١١- تواضع العبد للناس جميعًا.

١٢- استحياء العبد من الله عز وجل.

١٣- الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

١٤- البعد عن جميع مظاهر الشرك والرياء.

١٥- هدوء البال، وسكينة النفس، وانشراح الصدر.

١٦- النجاة من كيد الأعداء.

١٧- تمييز الحق من الباطن ببصيرة الإيمان.

١٨- الدخول في رحمة الله تعالى.

١٩- تبديل السيئات حسنات.

٢٠- دحر الشيطان والتغلب على مكائده.

٢- الخشوع في الصلاة

والخشوع في الصلاة هو روح الصلاة ولبها، وركنها الأعظم، فصلاة بغير خشوع كجسد بلا روح، وأي فائدة لجسد بلا روح؟ قال النبي ﷺ: «**إن الرجل لينصرف، وما كتـــب لـــه إلا عشـــر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، وسدسها، خمسها، ربعها، ثلثهـــا، نصفها**» رواه أبو داود، والنسائي وحسنه الألباني.

وقال النبي ﷺ: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صـــلاته، لا يتم ركوعها ولا سجودها**» رواه الطبراني، وحسنه الألباني.

ومما ينافي الخشوع في الصلاة:

١- **ترك الجماعة** : والصلاة وحده في بيته أو عملـــه، فـــإن الصلاة مع الجماعة من أكبر الأسباب المعينة على الخشوع.

٢- **الصلاة** : وهو يدافع الأخبثين (البول والغائط).

٣- **الصلاة** : حال الجوع الشديد والعطش.

٤- **الصلاة** : في الأماكن التي تكثر فيها الزخارف والنقوش.

٥- **رفع البصر إلى أعلى**: أو الالتفات أو النظر إلى الإمام.

٦- **الوسوسة في الصلاة.**

٧- **كثرة الحركة** : بسبب تعديل الثياب والغطرة والعقـــال، والنظر في الساعة وغير ذلك.

٨- **عدم تدبر الآيات المتلوة من الإمام أو من نفسه.**

9- عدم إحسان الوضوء.

10- سرعة الإمام في قراءه وصلاته.

11- التشويش على المصلين بنغمات الجوالات الموسيقية.

12- الفتنة بالدنيا: والانكباب عليها وشدة محبتـــها وتعلـــق القلب بها.

قال ابن مسعود: رضي الله عنه: الصلاة مكيال، فمـــن أوفى استوفى، ومن طفف فقد علم ما قـــال الله: ﴿وَيْـــلٌ لِلْمُطَفِّفِـــينَ﴾ [المطففين: 1].

وقال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة علـــى مثـــال هيئتهم في الصلاة، من الطمأنينة والهدوء، ومن وجود النعـــيم بهـــا واللذة، نسأل الله تعالى أن نكون من أهل الخشوع في الصلاة.

3- الإعراض عن اللغو

واللغو هو الباطل، وهو يشمل الشرك وسائر المعاصي ومـــا لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72] قال ابن كثير: أي لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به؛ مروا و لم يتدنسوا منه بشيء ولهـــذا قـــال: ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ (1).

(1) تفسير ابن كثير (3/436).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَــالُوا لَنَــا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَــيْكُمْ لَــا نَبْتَغِــي الْجَــاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

قال ابن كثير: أي لا يخالطون أهله، ولا يعاشرونهم، بل كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَــا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَــاهِلِينَ﴾ أي إذا ســفه عليهم سفيه وكلمهم بما لا يليق بهم الجواب عنه، أعرضوا عنه و لم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح، ولا يصدر عنهم إلا كلام طيــب، ولهذا قال عنهم إنهم قالوا: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَــالُكُمْ سَــلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا نريــد طريــق الجــاهلين ولا نحبها[1].

قال قتادة: أتاهم، والله، من أمر الله ما وقفهم عن ذلك:

فالقوم شغلتهم عيوبهم عن عيوب الناس، فاشتغلوا بإصــلاح أنفسهم، وشغلوا أوقاتهم بما يقربهم من الله، ودار كرامته، وأعرضوا عن الدنايا وسفاسف الأمور، واشتغلوا بالغايات الحميدة والمقاصد السنية، ومع ذلك فإنهم لا يجاملون أهل الباطل، ولا يجلســون في مجالسهم، ولا يكثرون سوادهم، بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فيعرضون عن مجالس اللهو والباطل والغناء والغيبة والنميمة والسخرية والاستهزاء، وينصحون أصحاب هذه المجالس ويذكرونهم بالله، وهذه هي المجاهدة الحقيقية وقد قــال تعــالى: ﴿وَالَّــذِينَ

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥١٨، ٥١٩).

﴿جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

٤- إيتاء الزكاة

قال ابن كثير: الأكثرون على أن المراد بالزكاة ههنا: زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة.. قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والدنس كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وكقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦، ٧] على أحد القولين في تفسيرها.

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال، فإنه من جملة زكاة النفوس، والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا، والله أعلم.

فاحرص أخي المسلم على إخراج زكاة مالك، في مواقيتها طيبة بها نفسك، واعلم أن الزكاة بركة للمال ونماء له، وتطهير وتزكية للمتزكي والمتصدق، وكم يدفع الله بها من الشرور والآفات والأمراض والبلايا قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

واحرص كذلك، أخي المسلم، على زكاة نفسك وتطهيرها من الأمراض الخطيرة كالشح والحقد والحسد والبغضاء والكبر والغرور وغير ذلك من أمراض القلوب وآفات النفوس.

٥- البعد عن الفواحش ومقدماتها

فالمفلحون وقفوا عند حدود الله، فحفظوا فروجهم من الحرام، فلم يقعوا فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، و لم يقربـــوا ســـوى أزواجهم، التي أحل الله لهم، أو ما ملكت أيمانهم من سبايا الحروب، ومن تعاطى ما أحله الله له فلا حرج عليه.

قال النبي ﷺ: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**» أخرجه أحمد والحاكم، وحسنه الألباني.

والمفلحون يبتعدون عن مقدمات الزنا، من النظـــرة الخائنـــة والكلمة الماجنة، واللمسة الفاجرة، والخطوة الماكرة.

وقد كان السلف يبالغون في غض البصر حذرًا من فتنة قال ابن مسعود، رضي الله عنه: ما كان من نظـــرة إلا وللشـــيطان فيهـــا مطمع.

وكان الربيع بن خيثم، رحمه الله يغض بصره فمر بـــه نســـوة فأطرق أي أمال رأسه إلى صدره، حتى ظن النسوة أنـــه أعمـــى، فتعوذن بالله من العمى !!

فالنظر بريد الزنا، فهو يزرع في القلـــب الشـــهوة، ويـــورث الحسرة، فالنظرة أولها أسف، وآخرها تلف، فمن طاوع طرفه، تابع حتفه.

٦- أداء الأمانة والوفاء بالعهد

ومن صفات عباد الله المفلحين أنهــم إذا اؤتمنــوا لم يخونــوا أماناهم، بل يؤدوها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك تمام الوفاء، ليس فيهم شيء من صفات المنافقين التي بينها رسول الله ﷺ في قوله: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كــذب، وإذا وعــد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «**إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة. ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: ينام الرجل نومة، فتقبض الأمانة من قلبــه، فيظل أثرها مثل المجل**[1] **كجمر دحرجته علــى رجلــك فــنفط**[2]**فتراه منتبرًا** [3] **ليس فيه شيء**» ثم أخذ حصى فدحرجه علــى رجله. متفق عليه.

وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات إلى أهلــها فقــال: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّــذِي اؤْتُمِــنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ**﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ونهى ربنا عن خيانة الأمانة فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا لَــا**

---

(١) المجل: أن يكون بين الجلد واللحم ماء.
(٢) نفط: تورم وانتفخ.
(٣) منتبرًا: مرتفعًا.

تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

٧- المحافظة على الصلاة

ومن صفات المفلحين أنهم يحافظون على صلاتهم، فيواظبون عليها في مواقيتها، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ! أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ فقال: «**الصلاة على وقتها**..» الحديث متفق عليه.

والصلاة لها شأن عظيم في الإسلام، ولذلك ذكرها الله تعالى مرتين في هذه الآيات التي أشارت إلى بعض صفات المفلحين، فافتتح الآيات بها، واختتمها بها.

ومما يدل على فضلها، وعلو شأنها قوله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه أحمد والبيهقي وصححه الألباني.

ومن المحافظة على الصلاة.

١- رعاية أوقاتها وحدودها.

٢- إتمام أركانها وواجباتها وكمالها.

٣- الحرص على صلاة الجماعة.

٤- المسارعة إليها عند وجوبها.

٥- الحزن والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها.

٦- المحافظة على وضوئها وآداب المشي إليها وانتظارها وشغل القلب بها.

٨- الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالمفلح يدعو إلى الله عز وجل، على بصيرة وعلم وهدى، لا على جهل وهوى، يتكلم إذا تحتم الكلام، ويسكت إذا كان السكوت خيرًا، ويأمر بالمعروف ما استطاع، وينهى عن المنكر ما استطاع، ويصبر على ما أصابه في ذات الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» قالوا: لمن؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» متفق عليه.

٩- الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

فالجهاد في سبيل الله من أعظم الحسنات وأفضل القربات، وأكمل الطاعات، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الصـــف: ١٠-١٣].

وعن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: قلت: يـــا رســـول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**» متفق عليه.

وعن أنس، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**» متفق عليه.

قال ابن القيم رحمه الله: «**وأكمل الخلق عند الله من كمـــل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفـــاوتون في منـــازلهم عنـــد الله، تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كمل مراتب الجهاد، وجاهد في الله حق جهاده، وشرع في الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله عز وجل**» [1].

١٠- تقوى الله عز وجل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَـــأْكُلُوا الرِّبَـــا أَضْـــعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُـــوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَـــكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الْأَلْبَـــابِ لَعَلَّكُـــمْ تُفْلِحُـــونَ﴾

---

(١) زاد المعاد (١٢/٣).

[المائدة: ١٠٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**» رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني.

قال القشيري: فالتقوى جماع الخيرات، وحقيقة الاتقاء: التحرز بطاعة الله من عقوبته، وأصل التقوى اتقاء الشرك، ثم بعد ذلك اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعد ذلك اتقاء الشبهات، ثم بعد ذلك ترك الفضلات.

وقال سهل بن عبد الله: من أراد أن تصح له التقوى، فليترك الذنوب كلها.

وقال الإمام ابن رجب: وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه، من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

ثمرات التقوى

للتقوى ثمرات عديدة كشفت عنها آيات الكتاب العزيز منها: القرب من الله تعالى يوم القيامة، مع التمتع باللقاء والرؤية، والأمن والمنزلة الرفيعة، والقبول وعدم الرد، وحصول الفلاح، والبشارة بالمحبة، والتزكية بالكرامة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وإصلاح العمل، ومغفرة الذنوب، وعظم الأجر، وحسن العاقبة، والتوفيق للعلم، والبشرى بالعون والنصرة، وتيسير الأمور، والخروج

من الغم والهم والمحنة، والرزق الواسع دون عناء أو مشقة، وغـــير ذلك من الثمرات.

١١- التوبة:

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُـــونَ لَعَلَّكُـــمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَـــى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

قال ابن القيم رحمه الله: ومنزل التوبة أول المنازل وأوســـطها وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممـــات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضـــرورية، كمـــا أن حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليـــه بعد إيمانهم، وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبـــة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بـــالترجي، إيـــذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فـــلا يرجـــو الفـــلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم [١].

---

(١) مدارج السالكين (١/١٩٦).

من فضائل التوبة

١- التوبة سبب للفلاح والفوز بسعادة الدارين.

٢- بالتوبة تكفر السيئات.

٣- إذا حسنت التوبة بدل الله سيئات صاحبها حسنات.

٤- التوبة سبب للمتاع الحسن، وزيادة القوة، ونزول الأمطار، والإمداد بالأموال والبنين.

٥- التوبة من أحب العبوديات إلى الله، والتائبون من أحـــب العباد إلى الله.

٦- الله يفرح بتوبة التائبين.

٧- التوبة توجب للتائب آثارًا عجيبة من المقامـــات العاليـــة فتوجب له الرضا والمحبة والرقة واللطف والذل لله، والخضوع لـــه، والانكسار بين يديه [1].

٨- والتوبة تخلص العبد من صفة الظلم لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

علامات التوبة المقبولة

١- أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.

٢- ألا يزال الخوف مصاحبًا له، لا يأمن مكر الله طرفة عين.

---

(١) كلمات متنوعة (٣/٤١، ٤٢).

٣- أن يستحدث أعمالاً صالحة بعد التوبة لم يكـــن يعملـــها قبلها.

٤- أن يكون سريع التأثر قريب الدمعة قوي الفكرة.

٥- أن يكون قوي العزيمة والإصرار على ترك الذنوب أبدًا.

٦- أن يكون منكسر القلب بين يدي الرب جل وعلا.

شروط التوبة

١- الإسلام، فلا تصح من كافر قال تعالى ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَـــةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّـــي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

٢- الإخلاص لله، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك قـــال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَـــا الْمُؤْمِنُـــونَ لَعَلَّكُـــمْ تُفْلِحُونَ﴾ فقوله: ﴿إِلَى اللهِ﴾ يدل على وجوب الإخلاص.

وقال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امـــرئ مـــا نوى**» متفق عليه.

٣- الإقلاع عن المعصية، فلا تتصور صحة التوبة مع الإقامـــة على المعاصي حال التوبة.

٤- الاعتراف بالذنب، إذ لا يمكن أن يتوب المرء من شيء لا يعده ذنبًا.

٥- الندم على ما سلف من الذنوب، وقد قـــال الـــنبي ﷺ:

«**الندم توبة**» رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

٦- رد المظالم إلى أهلها، إن كانت المعصية متعلقـــة بحقـــوق الآدميين.

٧- وقوع التوبة قبل الغرغرة، أي قبل وصـــول الـــروح إلى الحلقوم وهي علامة الموت، والآية التي ذكرناها عند شرط الإسلام تدل على ذلك.

٨- أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها، لقول الـــنبي ﷺ: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبســـط يـــده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» رواه مسلم.

١٢- الإخلاص واتباع السنة

أما دليل الإخلاص فقوله تعالى: ﴿فَـــآتِ ذَا الْقُرْبَـــى حَقَّـــهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّـــذِينَ يُرِيـــدُونَ وَجْـــهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

وأما دليل اتباع السنة فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُـــولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيـــلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُـــمُ الطَّيِّبَـــاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والإخلاص ومتابعة النبي ﷺ شرطان لازمان لقبول أي عمـــل من أعمال الطاعة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَـــلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَـــاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُـــوَكُمْ أَيُّكُـــمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [تبارك: ٢].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يـــا أبـــا علي! ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا و لم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا و لم يكن خالصًا لم يقبـــل، حـــتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكـــون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

١٣- الانقياد لحكم الله ورسوله ﷺ

ومن صفات المفلحين الانقياد لحكم الله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وهذا هو عنوان الفوز يوم القيامة، ولذا قال بعدها: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَـــائِزُونَ﴾ [النـــور: ٥٢].

وهذا الانقياد لحكم الله ورسوله هو الفـــارق بـــين المـــؤمنين والمنافقين قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُـــمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُـــونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٧-٤٩].

فالمؤمن هو الذي يقبل حكم الله ورسوله ﷺ بلا تردد ولا ضيق ولا تبرم بل يكون راضيًا به منشرحًا به صدره كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن القيم: فأقسم سبحانه بأجل مقسم به، وهو نفسه، عز وجل، على أنه لا يثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهلـــه حـــتى يحكموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين.

و لم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمـــه، حيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا، وهو الضـــيق والحصـــر، مـــن حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح، ويقابلوه بالتسليم، لا أهـــم يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فـــإن هـــذا منـــاف للإيمان، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضا وانشراح صدر.. ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله تعالى: ﴿وَيُسَـــلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فذكر الفعل مؤكدًا بمصدره القائم مقام ذكره مرتين، وهو التسليم والخضوع له والانقياد لما حكم به طوعًا ورضا، وتسليمًا لا قهرًا ومصابرة، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهًا بل تسليم عبـــد

مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، يعلــم أن ســعادته وفلاحه في تسليمه إليه، ويعلم بأنه أولى به من نفسه. وأبر به منها، وأقدر على تخليصها.

فمتى علم العبد هذا من رسول الله ﷺ واستسلم له وسلم إليه: انقادت له كل علة في قلبه، ورأى ألا سعادة له إلا بهــذا التســليم والانقياد [١].

١٤- فعل الخير والعمل الصالح

ومن صفات عباد الله المفلحين أنهم يداومون على فعل الخير و العمل الصالح، ويجتهدون في ذلك أشد الاجتهاد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

فلا بد أن يطرق المسلم أبواب العمل الصالح، ويؤثر مرضاة الله عز وجل، في كل وقت، فيكون له حظ من الصلاة، فيجتهــد في إيقاعها على أكمل الوجوه، ويبادر إليها في أول الوقت، ويجتهد ألا تفوته مع الجماعة.

ويكون له حظ في باب الصيام فيجتهد أن يصوم رمضان على الوجه المطلوب، ثم يجتهد في صيام النوافل ولا يتركها.

---

(١) زاد المهاجر إلى ربه (١٧، ١٨).

ويكون له حظ من العلم الشرعي، فيعلم، ويرشـــد الطالـــب، ويعلم الجاهل.

ويكون له حظ من قراءة القرآن، وجمع القلب علـــى تـــدبره، وتفهم معانيه وأحكامه.

ويكون له حظ من الذكر والدعاء ولزوم الأذكـــار المطلقـــة والمقيدة.

ويكون له حظ في مساعدة الخلق بجاهه أو بنفسه أو ببدنـــه، فيغيث الملهوف، ويعطي السائل والمحروم.

ويكون له حظ في زيارة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور فإن ذلك يدعو إلى كسر صولة الكبر في النفس، ويدعو إلى الزهـــد في الدنيا وطلب الآخرة.

ويكون له حظ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله عز وجل، والصبر على أذى الناس، واحتســـاب الأجـــر في ذلك عند الله تعالى وبالجملة يكون له حظ في جميع أبواب الطاعات وفعل الخيرات كما كان الصديق رضوان الله تعالى عنه يفعل فعـــن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مـــن أصـــبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه أنا قال: «**فن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا قال: «**فمـــن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنـــة**» رواه

مسلم.

١٥- كثرة ذكر الله عز وجل

ومن صفات أهل الفلاح كثرة ذكر الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وذكر الله تعالى هو الغنيمة الباردة التي توصل إلى الجنة بغير تعب ولا مشقة، بل إن أهل ذكر الله عز وجل، يشعرون بلذة ومتعة وهم في حال الذكر، لا يشعر بها صاحب الوتر والقينة مع وتره وقينته! ولذلك كان أحد السلف يقول: لو يعلم الملوك ما نحن عليه من النعيم واللذة لجالدونا عليها بالسيوف!

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال النبي ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت**» رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله! قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن بسر، رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**» رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وانظر أخي إلى قوله ﷺ: «**من قال: ســبحان الله وبحمــده؛ غرست له نخلة في الجنة**» رواه الترمذي وحسنه، تعرف كم نحــن مضيعون نسأل الله العفو والعافية.

شكا رجل إلى الحسن قساوة قلبه فقال له: ادنه من الذكر.

بذكر الله ترتاح القلــوب ودنيانا بــذكراه تطيــب

وفي مجلس الذكر تنزل الرحمة، وتغشــى الســكينة، وتحــف الملائكة، ويذكر الله أهلها فيمن عنده، فهم القوم لا يشــقى بهــم جليسهم، فربما رحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنبًا.

أحوال الذاكرين

قال ابن الجوزي: واعلم أن الذاكرين تختلف أحوالهم، فمنهم من يؤثر قراءة القرآن ويقدمه على كل ذكر.

ومنهم من أكثر ذكره التهليل والتسبيح والتحميد.

قال محمد بن ثابت البناني: ذهبت ألقن أبي وهو في المــوت، فقلت: يا أبت! قل لا إله إلا الله، فقال: يا بني! خل عني فــإني في وردي السادس أو السابع!!

ومن الذاكرين من غلب على قلبه حب المذكور، فلا يــزال في الذكر والتعبد.

ومن الذاكرين من صار الذكر له إلفًا عن كل كلفة فماله هم غيره، فهو يذكر أبدًا على جهة الحضور.

قال مجمش الجلاب: صحبت أبا حفص النيســابوري اثــنين

وعشرين سنة، فما رأيته ذكر الله، تعــالى، علــى حــد الغفلــة والانبساط، ما كان يذكر الله تعالى إلا على سبيل الحضور والحرمة والتعظيم.

وشغلت عــن فهــم الحــديث ســوى
مــا كــان منــك وعنــدكم شــغلي
وأديم نحـــو محـــدثي نظـــري
أن قــد فهمــت وعنــدكم عقلــي[1]

أفضل الذكر وأنفعه

قال ابن القيم: من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللســان، وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه، فيتواطآ على الذكر.

ومنهم من لا يرى ذلك، ولا يبتدئ على غفلة، بــل يســكن حتى يحضر قلبه، فيشرع بالذكر بقلبه، فإذا قوي اســتتبع لســانه فتواطآ جميعًا.

فالأول: ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه.

والثاني: ينتقل من قلبه إلى لسانه من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولا حتى يحس بظهور الناطق فيه، فإذا أحس بذلك نطــق قلبه، ثم انتقل النطق القلبي إلى الذكر اللساني، ثم يستغرق في ذلــك حتى يجد كل شيء منه ذكرًا.

وأفضل الذكر وأنفعه: ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان مــن

---

(1) التبصرة بشيء من الاختصار (٢/٣٠٦، ٣٠٧).

الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده [١].

١٦- الثبات

ومن صفات أهل الفلاح الثبات عند مواجهة المحن والشدائد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

فلا بد من الثبات على دين الله عز وجل، ولا بد من الثبات على العقيدة الصحيحة والمبدأ القويم، ولا بد من الثبات في المواقف الكبرى التي تبين الصادق من المتذبذب.

وللثبات أسباب منها : الإيمان بالله، عز وجل، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن أسباب الثبات: القيام بنصر الله، عز وجل، وذلك بالتمسك بالكتاب والسنة، والذب عنهما وعن أهلهما، ونشر الإسلام، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومقارعة أهل الباطل بالحجة والبرهان أو بالسيف والسنان، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ومن أسباب الثبات: الثقة بنصر الله تعالى للمؤمنين الصابرين المجاهدين، وانظر إلى ثبات موسى عليه السلام حينما طارده فرعون وجنوده بغيًا وعنادًا ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى

---

(١) الفوائد (٢٧٢).

﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١] البحر من أمامنا وفرعون وجنوده خلفنا فلا سبيل إلى الخلاص ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] فثبت على الحق ووثق بنصر الله عز وجل و لم يتزلزل قلبه كما حصل لبني إسرائيل فجاءه نصر الله عز وجل: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٨].

١٧- الولاء والبراء

ومن صفات عباد الله المفلحين الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: الولاء والبراء معناه: محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين ومعاداتهم والبراءة منهم ومن دينهم هذا هو الولاء والبراء كما قال الله سبحانه في

سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وليس معنى بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم، أو تتعدى عليهم إذا لم يكونوا محاربين، وإنما معناه أن تبغضهم في قلبك وتعاديهم بقلبك، ولا يكونوا أصحابًا لك، لكن لا تؤذيهم ولا تضرهم ولا تظلمهم، فإذا سلموا ترد عليهم السلام، وتنصحهم وتوجههم إلى الخير، كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وهكذا غيرهم من الكفار الذين لهم أمان أو عهد أو ذمة، لكن من ظلم منهم يجازي على ظلمه، وإلا فالمشروع للمؤمن الجدال بالتي هي أحسن مع المسلمين والكفار، مع بغضهم في الله، للآية الكريمة السابقة، ولقوله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

فلا يتعدى عليهم، ولا يظلمهم مع بغضهم ومعاداتهم في الله، ويشرع له أن يدعوهم إلى الله، ويعلمهم ويرشدهم إلى الحق ، لعل الله يهديهم بأسبابه إلى طريق الصواب، ولا مانع من الصدقة عليهم والإحسان إليهم، لقول الله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه أمر أسمــاء بنــت أبي بكر، رضي الله عنهما أن تصل أمها وهي كافرة في حال الهدنة التي وقعت بين النبي ﷺ وبين أهل مكة عام الحديبية [1].

١٨- اجتناب المحرمات

ومن صفات أهل الفلاح اجتناب ما حرم الله عز وجل قــال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِــرُ وَالْأَنْصَــابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُــمْ تُفْلِحُــونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

واجتناب المحرمات فرض على كل مسلم لقوله ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما اســتطعتم**..» رواه مسلم.

والمحرمات هي حدود الله، عز وجل، التي من تعداها فقد عرض نفسه للعذاب الأليم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَــدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

وهي الخبائث التي حرمها الله، عز وجل لخبثها وضررها كمــا قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَــرِّمُ عَلَــيْهِمُ الْخَبَائِــثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(1) مجموع فتاوى سماحة الشيخ (٣/١٠٢١، ١٠٢٢).

حكم تحريم المحرمات

ينبغي أن يعلم المسلم أن في تحريم المحرمات حكمًا منها:

أن الله يبتلي عباده بهذه المحرمات، فينظر كيف يعملون، ومــن أسباب تميز أهل الجنة عن أهل النار، أن أهل النار قد انغمســوا في الشهوات التي حفت بها النار، وأهل الجنة صبروا على المكاره الــتي حفت بها الجنة، ولولا هذا الابتلاء ما تبين العاصي من المطيع.

وأهل الإيمان ينظرون إلى مشقة التكليف بعين احتساب الأجر وامتثال أمر الله لنيل رضاه، فتهون عليهم المشقة، وأهــل النفــاق ينظرون إلى مشقة التكليف بعين الألم والتوجع والحرمان، فتكــون الوطأة عليهم شديدة والطاعة عسيرة.

وبترك المحرمات يذوق المطيع حلاوة: من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه، ويجد لذة الإيمان في قلبه [1].

١٩- ذكر آلاء الله

ومن صفات أهل الفلاح ذكر آلاء الله عز وجل وتعداد نعمــه والاعتراف بمننه قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُــونَ﴾ [الأعراف: ٦٩].

وذكر آلاء الله، عز وجل، وهو من قواعد الشكر الذي هو من أعلى المنازل وأجل القربات، والشكر مبني على خمس قواعد.

---

(١) محرمات استهان بها الناس (١٠، ١١).

الأولى: خضوع الشاكر للمشكور.

الثانية: حبه له.

الثالثة: اعترافه بنعمته.

الرابعة: ثناؤه عليه بها.

الخامسة: ألا يستعمل النعمة فيما يكره المنعم.

فالشكر إذن هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضـــوع، وإضافة النعم إلى موليها، والثناء على المنعم بذكر إنعامه، وعكوف القلب على محبته، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره.

وكان النبي ﷺ يذكر آلاء الله ونعمه عليه ويثني عليه بها، فكان ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى يقول: «**اللهم ما أصبح بي من نعمـــة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر**» رواه أبو داود، وحسنه ابن حجر والنووي.

ونعم الله على عباده كثيرة وآلاؤه جسيمة، قال تعـــالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبـــراهيم: ٣٤].

وأعظم النعم هي نعمة الإسلام والتوحيد، فلله الحمـــد والمنـــة على أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، قال مجاهـــد في قولـــه تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قـــال: هي لا إله إلا الله.

وقال ابن عيينة: ما أنعم الله على العباد نعمة أفضـــل مـــن أن

عرفهم لا إله إلا الله.

وبعد نعمة الإسلام والتوحيد فإن هناك نعمًا أخرى لا تعد ولا تحصى، فهناك نعمة إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونعمة الستر والإمهال، ونعمة فتح باب التوبة ونعمة التوفيق للمصالح، ونعمة الصحة والعافية وسلامة الجوارح ونعمة العقل، ونعمة المال، ونعمة الطعام والشراب واللباس، ونعمة الزوجة والذرية قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] فكم من نعمة ظاهرة وباطنة في جسم الإنسان.

قال ابن القيم رحمه الله:

النعم ثلاثة:

١- نعمة حاصلة يعلم بها العبد.

٢- ونعمة منتظرة يرجوها.

٣- ونعمة هو فيها لا يشعر بها:

فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.

٢٠- السلامة من شح النفس

ومن صفات أهل الفلاح السلامة من الشح، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

قال ابن كثير: أي من سلم من الشح فقد أفلح، وأنجح. وقال النبي ﷺ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءكم واستحلوا محارمهم**» رواه مسلم.

قال النووي: «قوله: واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم» قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا: بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة.

قال جماعة: الشح أشد البخل، وأبلغ في المنع من البخل. وقيل: هو البخل مع الحرص. وقيل: البخل في أفراد الأمور، والشح عام. وقيل: البخل في أفراد الأمور والشح بالمال والمعروف، وقيل: الشح: الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده [(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وأما الشح فهو خلق ذميم، يتولد من سوء الظن، وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعًا، والهلع: شدة الحرص على الشيء، والشره به، فتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا *

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٣٥٠).

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١]» [1].

وقال النبي ﷺ: «**شر ما في المرء شح هالع وجبن خالع**» رواه أبو داود وصححه الألباني.

وعن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون هلكت.

فقال له عبد الله: وما ذاك؟ قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئًا فقال عبد الله: ليس ذاك بالشـــح الذي ذكره الله في القرآن، إنما الشح الذي ذكر الله في القـــرآن أن تأكل مال أخيك ظلمًا، ولكن ذاك البخل، وبئس الشيء البخل.

وعن أبي الهياج الأسدي، قال: كنت أطوف بالبيت فرأيـــت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك. فقلت له [2]: فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق و لم أزن و لم أفعـــل، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه [3].

(1) الروح (٢٢٨).
(2) فقلت له: أي راجعته في مقولته.
(3) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٣).

الذين لا يفلحون

١- الكافرون

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

٢- الذين يفترون على الله الكذب

قال تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٨، ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

٣- السحرة

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٦، ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا

كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

٤- المجرمون

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَـــذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

٥- الظالمون

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَـــتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِـــنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [القصص: ٣٧].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الفلاح، وأن يقربنـــا مـــن صفاهم وأعمالهم وأن يباعد بيننا وبين سبيل المجرمين الخاسرين، أنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس